

## جناح متمد



بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

### الفاعلية والتأثير العربي:

## الطريق إلى تحقيق الوحدة الخالصة

لا مناص للوضع العربي السائد من الحفاظ على حقوقه العربية من مطالبة الشعوب وأهل الرأي أن تعود حالة التفاهم والتضامن بين الدول الثلاث (مصر، سوريا والسعودية)، ومهما يكن من تحالف إستراتيجي بين سوريا وإيران

■ بُنيت الجامعة العربية على أساس احترام سيادة الدولة القطرية، ولم يوضع في ماكينزم حيثيات الجامعة ما يتيح تطوير الوضع العربي نحو حالة من الوحدة، رغم أن التيار الوحدوي العربي هو الذي أدى إلى تأسيس الجامعة في منتصف الأربعينيات.. ومهما يكن من أمر النظام العربي - الذي هناك من ينكر وجوده بالمعنى الدقيق للنظام بسبب فقره إلى وضوح ووحدة نسق سياسي - إلا أن قدرة تأثيره في النظام العالمي رهين بقوة تأكيد وجوده وصلابته. فحينما يكون في حالة تماسك وقوة مع وضوح الرؤية السياسية ومتانة القواسم المشتركة، فإنه يصبح فاعلاً بديل أن النظام العربي السياسي استطاع بعد حرب حزيران 1967 أن يعيش أفضل مراحل عمره السياسي بتحالف مصر، سورية والسعودية (المثلث الثلاثي) واستطاع النظام العربي السياسي آنذاك في ظل ذلك التفاهم أن يواصل مسيرة الصمود بعد نكسة 67، كما استطاع أن يعيد حالة من التصالح بعد أزمة الكويت وحرب الخليج الأولى ..

غير أن المضاتيح الرئيسية التي تؤهلنا لفهم ما يدور في المنطقة العربية في السنوات الأخيرة الماضية تستوجب علينا تعريف النخب الحاكمة بمفهوم المصلحة القومية والتي هي تختلف وتباين وتتناقض بين مصطلحات طائفية، مذهبية، سياسية وتحالفات دولية وإقليمية، كما أنها متغيرة من زمن إلى آخرها لمحاور العربية في الخمسينيات والستينيات تختلف عن تلك الموجودة في الوقت الراهن، حيث أضحت التناقضات في اللغة والأهداف واضحة وجليّة واختفت على ضوئها القواسم المشتركة .. خذ على سبيل المثال، مواقف الدول العربية تجاه حرب إسرائيل على لبنان، إذ هي مواقف مخزية ويندى لها الجبين !

وكما يعلم الجميع فإن المنطقة العربية لا تمتلك أرضية للصراع الطائفي في الأساس كما يسوغ له البعض، وذلك لأن المنطقة العربية من أكثر المناطق تعددية طائفياً، دينياً واثنياً .. وقد كانت الهيمنة في وقت من الأوقات هيمنة سنية مطلقة، والبعض يشير أن الحركة الوهابية أخذت موقفاً متشدداً من الموقف الشيعي، ولا يزال في قلب الأحساء هناك قاعدة شعبية كبيرة لا يستهان بها من الشيعة .

ولكن حينما تعتمد النخب الحاكمة لتسوية مشروعها القومي بحسب مزاجها في طرحها برامج وأجندة سياسية، فإنها تساهم في تسوية ورقة الطائفية بشكل أو بآخر، ويقع عليها عبء كبير في تفجيت وتمزيق تلك الورقة قبل أن يتراجع تسامح الأغليات المغيبة في عالمنا العربي !

إن فكرة التحالفات موجودة في جميع القارات والكتل السياسية، وليس فيه شيء يعيب أو ينقص عملية التكامل العربي، بيد أن علينا أن نقر ونعترف بأننا مقبلون على مرحلة من فقدان الهوية العربية وكذا انعدام الأمن القومي العربي، خصوصاً بعد إعدام صدام الرئيس العراقي السابق، والذي يتوقع المحللون السياسيون أن الوضع العربي الآن سيبدأ بتشكّل في ضلال الطائفية، بمعنى سيكون هناك محور سني وآخر شيعي، وما

التهافتات التي قبيلت عند إعدام صدام إلا بداية لمرحلة يكتنفها الظلام !

ويقتضي بالقادة والنخب الحاكمة حين شروعه في أي تحالف عربي - عربي إعادة فهم الأوضاع السياسية على الصعيد الإقليمي والعالمي للوطن العربي، فالتحالفات العربية والتي هي في الأساس تحالفات سياسية إمتدادات دولية وهذه الإمتدادات قد تغذي أو تدفع نحو مزيد من التناقضات، وذلك ما نحن أبعد ما نكون بحاجة إليه !

ولا مناص للوضع العربي السائد من الحفاظ على حقوقه العربية من مطالبة الشعوب وأهل الرأي أن تعود حالة التفاهم والتضامن بين الدول الثلاث (مصر، سوريا والسعودية)، ومهما يكن من تحالف إستراتيجي بين سوريا وإيران والضائفة التي ترجوها منها، إلا أن ذلك لا يغنيها عن دورها المنتظر على الساحة العربية ومساهماتها الفعالة تثبت دعائم المشروع الوحدوي العربي .. وعلى النخب الحاكمة أن تستغل فرصة الوهن والضعف البين الذي تعاني منه الولايات المتحدة الأمريكية بعد فقدتها الكثير من هيبتها الدولية إثر تفهقر المشروع الأمريكي في العراق .

إنه بالحديث عن واقع الأنظمة السياسية العربية الحديث، فإنه من الأهمية بمكان التطرق إلى ملف السلاح النووي الإيراني، خصوصاً وأن الاستهداف الأمريكي للملف النووي الإيراني يستشغل خلال العام القادم، لأنه بات يشكل صداماً بالنسبة لأمريكا في منطقة الخليج - محرك لصناعات المحاور الأول في المنطقة العربية - .

وسواء اتفقنا مع السياسة الخارجية لإيران أو لم نتفق .. وسواء اعترفنا بوجود خطابين للسياسة الخارجية الإيرانية - كما يشير المحللون السياسيون - أحدهما معن يتمثل في خطابها الإسلامي العام ضد أمريكا وإسرائيل، والآخر معمول به فعلاً وهو خطاب طائفي، سلطوي يهدف إلى توظيف التشيع في العراق وخدمة القومية الفارسية، فإن ذلك يجب أن لا ينسينا مشكلات أعظم يعاني منها الوطن العربي كالصراع العربي - الإسرائيلي، وضعف معدلات التنمية في دول العالم الثالث..

ومن المناسب ذكره أن في تاريخنا السياسي الحديث، ثمة ممارسات طائفية قامت بها النظم السياسية بالأساس حيث قمعت وأقصت تنوع وتعدد المجتمعات، وفرغت القومية من مدلولاتها، حينما بدأت في الإفلاس فشرعت في استخدام الغطاء المذهبي كذريعة من ذرائع البقاء .. إنه الكرسي، حينما تتكالب عليه الأنفس متناسية يوماً لا كرسي فيه ولا سلطان !

وكما أنه من المستحيل على النظام العربي أن يعيش في القرن الحادي والعشرين بأنظمة تحرم شعوبها الكلام والمشاركة وحرية المعارضة، فإنه أيضاً وبالمقابل لن يعيش هذا القرن بشعوب وجماهير لا زالت عاجزة عن التفكير في مدى أبعد من توهين مقومات عيش يومها من رغيف خبز وملبس ومأكل !